القصيدة لتكون وسيلة للخلاص حيث تشرع المرأة الجميلة بترداد أبيات عن ابنة عمّ بشر، تذكر فيها جمال ابنة العمّ وسحرها وتتعجب من تفريطه بها، وتوحي إليه أنه لو رأى ابنة عمّه (فاطمة) فإنه سيزهد بكل من عداها من النساء، فأثارت بذلك رغبة بشر في البحث عن المكنون. فترك المرأة الجميلة وراح يطلب طريقاً إلى ابنة عمّه.

وهنا يدخل بشر في حكاية أخرى مع عمّه الذي يتأبّى عليه ويمنعه من الزواج من فاطمة مما أدّى إلى تحوّل بشر إلى رجل فتاك سعياً منه للانتقام من عمه على موقفه هذا (فكثرت مضراته على القوم واتصلت معراته إليهم فاجتمع رجال الحيّ إلى عمه وقالوا كفّ عنا مجنونك). ولم يجد العم هنا سوى الحيلة والمكر حيث قال لبشر: (إني آليت أن لا أزوج ابنتي هذه إلا ممن يسوق إليها ألف ناقة مهراً، ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة ـ وغرض العمّ كان أن يسلك بشر الطريق بينه وبين خزاعة فيفترسه الأسد، لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق وكان فيه أسد يسمى داذا وحيّة تدعى شجاعا...).

ودخل بشر في مصارعة مع الأسد ثم صارع الحيّة وغلبهما. ولـمّا قتل الحيّة بعد قتله للأسد قال له عمّه معترفاً ونادماً: (إني عرضتك طمعاً في أمر قد ثنى الله عناني عنه فارجع لأزوجك ابنتي، فلما رجع جعل بشر يملأ فمه فخراً حتى طلع له أمرد كشق القمر...).

لم ينهزم بشر ولم يمت ولكنه ـ أيضاً ـ لم يتزوج من فاطمة ذاك لأن الأمرد الذي كشق القمر جاء ليكسر عزة البطل ويهشم غروره وينهي حكاية بطولته التي لا تنثني، فيصارعه ويتمكن منه مراراً أثناء المبارزة، ولكنه يحجم عن قتله ويكتفي بإحداث كلوم وجراح بلغت